

## الرواية العراقية... بين التحديث والتبعية الكلاسيكية



خضير فليح الزبيدي



بشير حاجم



حميد الربيعي

### صفاء ذياب

في وقت يبحث الكتاب العراقيون تجديداً، والعرب عموماً، عن الأساليب الجديدة التي يمكن أن تنجز فيها أعمالهم الأدبية، يسعى آخرون إلى عدم الخروج على الأطر المعروفة، مفضلين أن يكونوا ضمن سياقات الثقافة العربية الراسخة، مبتعدين عن التجريب والمغايرة.

هذا التجريب، هو ما دفع بعض الروائيين العراقيين إلى إطلاق ما يشبه البيانات تحت مسمى «الرواية العراقية الجديدة»، وكتب بعضهم مقالات حول هذا المشروع. لكن هل هناك فعلاً أعمال تمثل هذا الاتجاه؟ وما الأليات التي تشغل عليها؟ وكيف نتكهن من تمييز أعمال كهذه عن سواها من الروايات التي أنتجت خلال السنوات الماضية والتي ستنتج في المستقبل القريب؟

### مراحل ومتغيرات

يسرد الروائي خضير فليح الزبيدي: وهو من المئاديين بهذه التسمية، المراحل التي مرّت بها الرواية العراقية. موضحاً أنها مرّت بمرحلتين فاصلتين من حيث البنية الفنية والمضامين. المرحلة الأولى مرحلة ما قبل 2003، على رغم شح ملامح رواياتها، فقد كانت تغلف نفسها وتقلها بالرموز وتتشتت على توظيف أساطير وتتماهى مع الميتولوجيا المحلية والعالمية مستفيدة من تجارب الرواية العالمية في الواقعية السحرية وتيار الوعي والسرديات الحديثة.

### البحث عن الإنسان

ويطمح الروائي محمد علوان جبر من الرواية التي يشتغل عليها أصحاب المشروع الجديد لأن تنفّس الواقع برؤية معاصرة، مستفيدة من فضاءات الثورة المعلوماتية، وهي تصنع بصمتها وتعلن وجودها عبر مديا خاصة بها تخلقها، لا بل تحفرها، وهي تستفيد تماماً من التقنيات الحديثة في الوصول إلى القارئ عبر التسويق والترويج لنفسها لتدعو مؤثرة حقاً، فهي فضلا عن كونها لغة ثقافية، فهي صيغة خالدة. يسوق هذه العلاقة بين القارئ العراقي وروايته، بعد فترة الطلاق والهجرة القسرية إن صحّت العبارة.

الجديدة كمفهوم ما زال في بداياته، إذ انطلق منذ عدة أشهر من قبل مجموعة من المثقفين في هذا الحقل، وهو في مرحلة النقاش والحوار ولم يتبلور بعد على هيئة بيان أو تجمع، «الحوارات مستمرة واعتقد أنها لا بد أن تتمر خلال نهاية هذه السنة بطرح البيان».

ويتابع: «تعتقد، فضاءات البنية الخطابية إلى شكل جديد من خلال الإشتغال على اللغة وقيمة السرد الفنية، فطالما الرواية قد انتقلت بفعل الظروف العامة من حوض مؤسسة الدولة إلى حوض المجتمع، فلا بد لها من الإشتغال على آليات جديدة، تغير بموجها الحاضنة الاجتماعية وتكون أقرب إلى إقامة مفاهيم جديدة، قيمتها ومصدها الإنسان كذات فاعلة وبتشغيلية بفعل الضغوطات الحياتية».

الرواية الجديدة تتعدى إلى تجاوز الروايات الجمعية، التي شكلت بنية المجتمع سابقاً وأوصلتنا إلى حافة الانهيار، تغيرها إلى سرديات حديثة، يتشكل منها وجدان المجتمع باقائه الإنساني الرحب، الذي من أولوياته القبول بالآخر وتعدد الهويات الثقافية والحضارة الإنسانية. عملية تمييز هذه الأعمال تتطلب صبراً وجهداً ومثابرة، أولاً في سبيل الاتفاق وترسيخ المطلقات الجديدة، وثانياً بالاستشغال عليها وترويجها بشكل فاعل بين الناس والحقل الأدبي».

### روائيون باحثون

يعترف الناقد علي سعدون بأن الرواية العراقية المكتوبة بعد عام 2003 تنصتد المشهد الثقافي بقوة لافتة، الأمر الذي يسوّغ لعدد من الروائيين العراقيين (الجدد) على الأقل) من نعتها بالظاهرة الجديدة، هذا الموضوع مفهوم وله مبررات عدّة. لكن وجود الظاهرة الثقافية (أي ظاهرة) ستحتاج إلى مجموعة من السمات والملامح المشتركة التي ستشير إلى وجودها وتبنيها للدارس والباحث الخوض في اجترار مثله. هذا لم يحصل مع الرواية العراقية الجديدة، إذ ثمة تجارب فردية علت بجهد شخصي في بلورة سحنة خطاب مختلف قدم نماذج مهمة ومغايرة للحضاب القديم، خطاب الرواية العراقية ما قبل ذلك التاريخ، الأمر الذي سيّدق بنا إلى حرجة سؤال من قبيل: ألم تكن الرواية العراقية قبل ذلك التاريخ معنية بالكتشف والاستقصاء والمعرفة والتعلق مع التاريخ والمهل من الحياة؟ يقول سعدون إن الإجابة عن هذا السؤال ستأخذ حيزاً طويلاً لا مجال للخوض فيه هنا. لكن الأهم يكمن في أن تأثير التحولات السياسية الهائلة في العراق والضغوطات الاجتماعية الكبيرة دفعت بالرواية العراقية إلى الاستفادة من ذلك بشكل واسع، الأمر الذي جعل منها جوئياً في السوسيوثقافي بمعنى من المعاني، وهذه الإشارة هي واحدة من مميزات رواية ما بعد عام 2003.

### قواسم مشتركة

وحسب الروائي ضياء الخالدي، فإن ما هو جديد في الرواية العراقية، أنها قلصت الفجوة الكبيرة ما بينها، وبين قارئها المحلي، ويمكن الاستدلال على ذلك بسهولة، وهو ما يدفعا إلى التمسك العتبة الأولى في تفكيك بنيتها وخطابها للوصول إلى ملامح وسمات خاصة بها.

ويشير الخالدي إلى أن الرواية بنت الأزمات، وما حدث في العراق بعد عام 2003 من تحولات كبرى، قد دفع الوعي إلى مساحات أوسع لفهم ما جرى ويجري. أضحت الأسئلة قريبة من الإنسان، وبعيدة عن الشعارات الجبرسي، والروميسيات النورية التي كانت تكرر مسارات الناس في العيش.

كل ذلك جعل الروائيين في بحث دائم عن آليات جديدة تستنطق المسكوت، وتجاوز الثقافات الأخرى بهاجس الكشف، لا للتقاطع. كل شيء مناح أمام الوعي والحدس لتأسيس سردية مختلفة، تطارد التفاصيل والخفايا. قبل تاريخ التغيير بسنوات قليلة، صدرت رواية علي بدر «بابا سارتر»، وكانت مختلفة تماماً عما صدر من روايات، (اتحدث

أن يكون لها بيانها». ويهدأ، لا يريد رحيم أن يحبط مسعى أصدقائه، إنما يقول: «الأجدي أن يعمل كل منهم ضمن مشغله الخاص ويبدع، لأن الكتابة أكثر المهن عزلة في العالم بتعبير ماركيز. وحين تتوافر شروط ومقدمات ظهور حركة فإنها ستفرز نفسها تلقائياً على المشهد الثقافي والأدبي».

ويكمل رحيم حديثه قائلاً إن الحركات الأدبية لا بد من أن تكون أصيلة، متجذرة في واقع ثقافي اجتماعي لا مستعارة. وما زالت رواياتنا تستعير أشكالها من الآخر، حتى إن كانت تضيء عليها بصمتها الخاصة. أن نقول إن في روايتنا عناصر من أساليب ما بعد الحداثة وما وراء السرد لا نتمسحنا امتياز خلق تيار جديد. فعناصر كهذه يمكن إيجادها حتى في نماذج من الرواية العراقية المكتوبة قبل عام 2003.

ويحدّد رحيم كيفية تشكل الحركات الأدبية والفنية، مبيّناً أن الذي ينشئها، تاريخياً، جيل جديد من المبدعين الشباب الذين يملكون روح التمرد على من سبقهم ولديهم هاجس تحديث رؤاهم وأدواتهم وأساليبهم ولغتهم، ولهم مشكلات في ذلك. أما أن تأتي الدعوة من أبناء تجاوزوا الخمسين في أعوامهم ينتمون إلى جيل سابق ولهم منجزهم القان ويختلفون في الرؤى والأساليب واللغة بعضهم على بعض، فالأمر في هذه الحالة إن لم نقل إنها نزوة متأخرة فهي توق لبئسي لم تتوافر بعد شروط ولادته تاريخياً وقيماً.

### مشاريع مغايرة

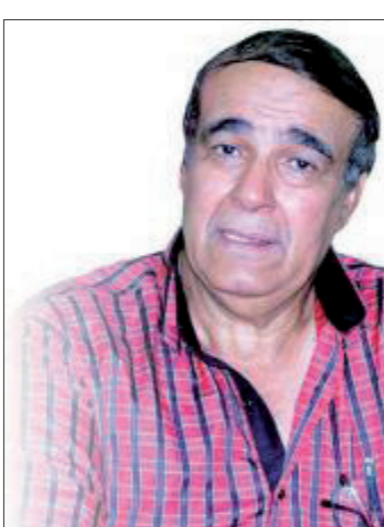
يعيد الناقد بشير حاجم تفحص مفهوم «الرواية العراقية الجديدة»، قبل الخوض في ممثلاتها وألياتها ومميزاتها، مبيّناً أنه لا بد من تأمل ولادة طبيعية بعد مضام عسير! مضيفاً: «ثمة جماعة جديدة، إن، بينما هناك تيار، يمثل الرواية العراقية الجديدة، معرض للاستجواب: أهو جديد أم قديم؟ لذا فإن استجواباً كهذا، خطير الصراع بين السابق واللاحق، ستجوله والدو هذه الجماعة، وهم أصحاب نماذج روائية مخطوطة لا مطبوعة فقط بعد نيسان 2003. فهؤلاء يعتمدون قراءة عمومية (اجتماعية، إنسانية، ثقافية) للشخصيات، موزوعياً، وفي ظنهم باعتماد كهذا أنهم لا يحقون تحريكون أمام سابقين تثبتيين! ولئن أسمن الظن لظنهم هذا، لكونه مقبولاً على الأقل، ربما يبرهنون أن تيارهم جديد: ذو كتابة خصوصية (بنيوية، تقنية، جمالية) للحداد، فنياً، عبر مفهوم الرواية العراقية الجديدة».

هذا المفهوم، الذي صير باسبط معانيه وجد رواية عراقية قديمة، يريدون به قبالة بضعة متغيرات نسيانية هامشية يضع مغايرت أدبية متنبئة لا كحائية. توريث، بل بل سردية تقوير، لا تجريباً تحت اختيار، بل تجربة فوق خبرة. لا انشغالا بتأسيس بل اشتغال لتكريس، لا سيراً على سطح مكان، بل غوص في عمق زمان، لا بطل جزء، بل إبطال كل».

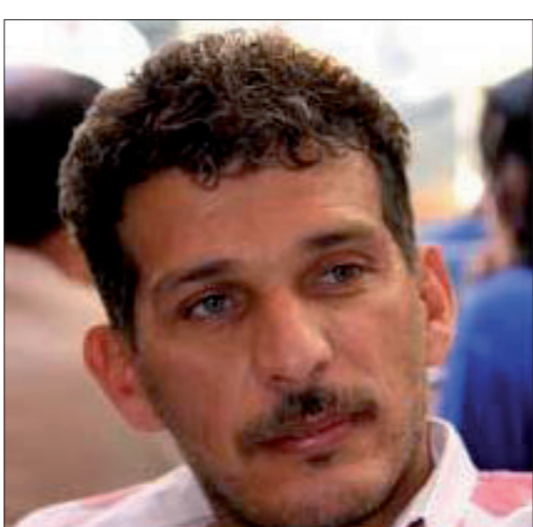
ويكمل حاجم حديثه قائلاً: على أن هذه المغايرت، وأمثالها أيضاً، لم يتجل منها حتى اليوم سوى بعض ملامحها أو ملامح لها، و فقط خلال السنوات الأربع الماضية، إلى الاستفادة من ذلك بشكل واسع، الأمر الذي جعل منها جوئياً في السوسيوثقافي بمعنى من المعاني، وهذه الإشارة هي واحدة من مميزات رواية ما بعد عام 2003.

وحسب الروائي ضياء الخالدي، فإن ما هو جديد في الرواية العراقية، أنها قلصت الفجوة الكبيرة ما بينها، وبين قارئها المحلي، ويمكن الاستدلال على ذلك بسهولة، وهو ما يدفعا إلى التمسك العتبة الأولى في تفكيك بنيتها وخطابها للوصول إلى ملامح وسمات خاصة بها.

ويشير الخالدي إلى أن الرواية بنت الأزمات، وما حدث في العراق بعد عام 2003 من تحولات كبرى، قد دفع الوعي إلى مساحات أوسع لفهم ما جرى ويجري. أضحت الأسئلة قريبة من الإنسان، وبعيدة عن الشعارات الجبرسي، والروميسيات النورية التي كانت تكرر مسارات الناس في العيش.



محمد علوان جبر



ضياء الخالدي



سعد محمد رحيم

## المرصد

### عادل كرم... «هيدا حكي فاضي»

#### هنادي عيسى

قبل سنتين، بدأ عرض برنامج «هيدا حكي» على شاشة «mtv» اللبنانية، من تقديم الممثل عادل كرم الذي بنى شهرته عبر شخصيات كوميدية مثل «أبو رياض» و«الفونس» و«وجدي» وغيرها. إنما مع انتشار ظاهرة البرامج الساخرة في العالم العربي، وتحديداً برنامج «البرنامج» للدكتور المصري باسم يوسف الذي وصلت أصدائه إلى كل أنحاء العالم العربي. أحببت محطة «mtv» تقديم برنامج مشابه بالتعاون مع المخرج ناصر فقيه، الذي يملك مع شقيق عادل كرم شركة إنتاج، وكان «هيدا حكي» الذي لم يستحوذ على إعجاب كل المشاهدين منذ الحلقات الأولى. إنما مع مرور الأسابيع، بدأ كرم يحقق نجاحاً تصاعدياً، ما دفع بنجوم الصف الأول إلى الموافقة على الظهور في برنامجه من دون أيّ مقابل مادي، مثل رانغ علامة وهيفاء وهبي ورجدة وغيرهم، بسبب نسبة المشاهدة المرتفعة التي حظي بها في الموسم الأول من «هيدا حكي». خصوصاً أنّ الانتقادات التي طاولت السياسيين والفنانين جاءت بمثابة «فشة خلق» للناس.

إنما في الموسم الثاني، وقع «هيدا حكي» في المحظور، وتسلل اللمل إلى فقراته، عدا الإساءات التي طاولت فنانين، والكلمات النابية التي تعدّت الخطوط الحمراء والإعداد الضعيف والحوارات الركيكة مع الضيوف. إذ يظهر عادل كرم في أحيان كثيرة مشتمّت الذهن وعلى غير دراية بأرشفيف الضيف الذي يجلس أمامه. وبدأ جلياً أن نسبة مشاهدة «هيدا حكي» تدنّت، سواء من أرقام شركات استطلاعات الرأي، أو من الشركات الإعلانية راعية البرنامج. إذ كانت هدايا الضيوف في الموسم الأول ذهباً والماساً، وأصبحت في الموسم الثاني سّماعات والعبأ الإلكترونية. وكل ذلك نتيجة السقطات المهينة التي وقع فيها فريق الإعداد، وآخرها تمثل بالسخرية من رجل في الثالثة والستين من عمره، أحب أن يعوّض حرمانه من حصوله على شهادة المتوسطة في الصغر نتيجة ظروف معينة. فكان أن أجرى الامتحانات الرسمية لنيل هذه الشهادة قبل أسابيع، ولم يمنعه عمره من خوض التجربة.

وبينما لقي طموح عبد الله طالب كل الترحيب من الناس والإعلاميين، إلا أنّ عدم وعي فريق «هيدا حكي» جعل المقدّم عادل كرم يطلق العنان في سخريته من هذا الرجل. وبسرعة فائقة، تحوّلت القصة إلى قضية رأي عام، وجعلت محطة «mtv» وكرم يتصلان بطالب للاعتذار منه على الإساءة. إلا أنّ الأخير رفض الاعتذار الشخصي، وطلب من البرنامج أن يكون الاعتذار على الشاشة أمام كل المشاهدين الذين عبّروا عن استيائهم لكل ما حصل. فهل يقوم عادل كرم بالاعتذار العلني يوم الثلاثاء المقبل؟

ينبغي ذلك، ولأعلى أن يذفن برنامجه، لأن «هيدا حكي» مش حكي!

## المركز الثقافي العراقي في بيروت يحتفل بذكرى تأسيسه الثانية

### لمى نوّام

احتفل المركز الثقافي العراقي في بيروت بالذكرى الثانية لتأسيسه، وبعيد بالذكرى العراقية 46 بعد المئة.

حضر الاحتفال الذي أقيم في مقرّ المركز - فردان، تقيب الصحافة عومي الكعكي، التقيب السابق محمد بعلبكي، رئيس اتحاد الكتاب اللبنانيين الدكتور وجيه فانوس، رئيس «المجمع الثقافي العربي» البروفسور فيكتور الكيك، أركان السفارة العراقية في لبنان، وجمع من المثقفين والإعلاميين ووسائل الإعلام اللبنانية والعراقية.

قدّمت الاحتفال الزميلة في «إذاعة لبنان» ووداد حجاج التي قالت: «شعور اليوم فرحاً وإن كان عصياً لأننا نحتفل بالإنجازات الثقافية التي استطاع أن يقدمها المركز الثقافي العراقي في بيروت، البيت الذي جمعنا وأصبح له الحضور المتميز في المشهد الثقافي اللبناني والعراقي في سياق تعزيز التواصل والتعاون، مشكلاً قاطرة حركة ثقافية ضمنية ومباركة».

وألقى مدير المركز الدكتور علي عويد العبيدي كلمة قال فيها: «احتفل اليوم، بالذكرى الثانية لتأسيس المركز الثقافي العراقي في بيروت الذي افتتح في مثل هذا اليوم كأول مركز ثقافي عراقي في العالم العربي. وفي هذه المناسبة، تقدّم الشكر والتقدير للعراق ولبنان ووزارة الثقافة العراقية والمسؤولين فيها لأنهم أساس وجود هذا المركز في بيروت، وشكرنا لمن ساهم المركز ودعمه وتواصل معه وحضر نشاطاته وفعالياته من كل الأوساط الثقافية العراقية واللبنانية والعربية».

وأضاف: «الاحتفال مختصر نظراً إلى ما يمر به العراق، لكنه كبير بما حققه على الساحة الثقافية في لبنان وعكس الصورة المشرقة للثقافة والمجتمع العراقي. وتمكّنت إدارة المركز من الانفتاح والتواصل مع جميع الأوساط الثقافية والعراقية واللبنانية من دون استثناء على رغم قصر مدة التأسيس».

الثقافية في بيروت. وهو مرآة الثقافة والحضارة العراقيين، ويمثل حلقة وصل بين الثقافتين العراقية واللبنانية، واحتضن المركز أكثر من نشاط ثقافي وعروض وحلقات ثقافية وعروض شعرية وموسيقية وغناء عراقي ولبناني، ما هياه إلى تتاعم جميل بين الثقافتين والأجواء الحميمة بين المثقفين لكي يتواصلوا في ما بينهم».

وشكرت شوقي باسمها وباسم طاقم السفارة العراقية العبيدي على جهودهم، «فكو خير من مثل الثقافة العراقية بكل تقديريها، وكان مهنياً مستعداً لأن يكون مبعوثاً صادقة ليوصل أبعاد الثقافة العراقية من كردستان إلى الأهواز والبصرة الحبيبة، ويعرض جمال المجتمع العراقي وفلسفته بكل أطيافه».

ودخل المركز الثقافي العراقي درع فناء وتقدير وشهادات تكريمية لعدد من المثقفين العراقيين واللبنانيين وشهادات تقديرية لوسائل الإعلام اللبنانية والعراقية وعدد من الصحافيين لمناسبة عيد الصحافة في العراق، كما مُنح موظفو المركز وشهادات تقديرية لمناسبة ذكرى التأسيس.



كتبتها الطفل حسين الخضّر أراد من خلالها أن يقول للأطفال إن كل من يقدم على الأذى، سيصاب بمعله، من خلال إقدام بطل القصة «وليد» على ذبح عصافير بريء فانتزق على الدرج بعد ذلك وكسرت قدمه.

في حين جاءت قصيدة «الشجرة» التي كتبها محمد وحيد علي وأعدّ رسوماها عمار الشوا لتقديم نصيحة الاهتمام بالأشجار ومدى أهميتها، بأسلوب بسيط لا يحمل صيغة فنية.

أما قصيدة الشاعر مصطفى خضر بعنوان «سندباد» والذي عبّر عنها بالرسم أحمد الحاج أحمد، فتضمنت المعاني السامية في رحلة السندباد وذلك ضمن سرد غنائي تحركه التفعيلة والموسيقى، إذ قال:

يطوف سندباد  
بزورق صغير شواطئ البلاد  
كانه يطير مركبه يروود  
في جذر المرجان... بحر بلا حدود.  
واحتوى العمد على قصة بعنوان «وليد والعصافير»